بسم الله الرحمن الرحيم

∞∞∞

تم رفع هذه الرسالة بواسطة / مني مغربي أحمد

بقسم التوثيق الإلكتروني بمركز الشبكات وتكنولوجيا المعلومات دون أدنى مسئولية عن محتوى هذه الرسالة.

ملاحظات: لا يوجد

قسم الدراسات الفلسفية كلية مُعتمدة كلية الآداب

جدلية العلاقة بين العقل والجنون عند ديكارت و فوكو

دراسة نقدية فى الكوجيتو المعاصر

رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة

إعداد

مرفت سيد رضوان محمد

المعيدة بقسم الفلسفة –كلية الاداب

إشراف

أ.د محمد يحيى فرج

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الاداب جامعة عين شمس

د. نشوى صلاح محرم

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الاداب جامعة عين شمس

٢٠٢٢

اهداء

إلى من بذر في نفسي بذرة العلم الأولي، ورحل قبل أن يرى ثمرة غرسه، أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى مَنْ ساندتني طوال حياتي، وكانت لها الفضل بعد الله فيما وصلت إليه. أمى نور عينى رحمها الله تعالى ،فلا أملك الإ الرحمة لهما والمغفرة وجعل الله ذلك فى ميزان حسناتهما .

إلى أخواي وأخواتى ،على وقفتهم بجانبى واحتوائى وتحملهما مشقة هذا الطريق.

إلى مَنْ شاركني العناء والسراء والضراء ، رفيق دربي زوجي وأبنائى حنين ويوسف حفظهما الله من كل مكروه .

إلى مَنْ علمّني الصبر والجد والاجتهاد، و لم يدخر جهدًا في مساعدتي ، مشرفي الفاضل.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركا فيه، الحمد لله القائل في كتابه " **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**" . فلك اللهم الشكر، وإليك يرجع الفضل كله في إتمام هذه الرسالة ، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سسيدنا محمد صل الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد،،،

أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل، الأستاذ الدكتور/ محمد يحيى فرج، أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المتفرغ بكلية الأداب جامعة عين شمس، الذي له الفضل بعد الله تعالى في إعداد هذا البحث منذ أن كان الموضوع عنوانًا وفكرة، إلى أن صار رسالة وبحثا، فله مِنيّ الشكر والتقدير والعرفان.

وأتوجه بالشكرالجزيل للدكتورة/ نشوى صلاح الدين محرم، مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية الأداب جامعة عين شمس، على تفضلها بالإشراف على هذه الرسالة، فلها منى كل الشكر والتقدير.

كما أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور / محمد مجدى الجزيرى ، أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المتفرغ بكلية الآداب جامعة طنطا ، على تفضله بالموافقة على قبول مناقشة هذه الرسالة ، داعية الله عز وجل أن يمتعه با لصحة والعافية .

وأتوجه أيضاً بالشكر للأستاذ الدكتور / ياسر عبد المنصف قنصوه ، أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية الآداب جامعة طنطا ، على تفضله لمناقشة هذه الرسالة .

وأخيراً يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من قدم لى يد العون، أو أسدى لى معروفا، أو قدم لى لإنجاز هذا العمل.

الفهرس

اهداء .....ب
شكر وتقدير ..... ج
المقدمة ١
الفصل الأول : التصور الديكارتى للجنون ٥
أولاً : الطرق المختلفة لتناول لجنون ٦
ثانياً : الجنون عند ديكارت وارتباطه بفلسفته ٢٠
ثالثاً: التصورالآلى للطبيعة والجسد عند ديكارت ٤٠
الفصل الثانى : التقابل بين الجنون فى عصر النهضة والعصر الكلاسيكى ٤٩
أولاً : الجنون يتحدث فى علاقة متبادلة مع العقل فى عصر التهضة ٥٠
ثانياً : إسكات العقل للجنون فى العصر الكلاسيكى ونشأة الحجز الكبير ٦٢
ثالثاً: قراءة دريدا لنقد فوكو للجنون عند ديكارت ٧٤
الفصل الثالث : الجنون وربط المعرفة بالسلطة فى القرن التاسع عشر ٨٧
أولاً : التعامل مع الجنون كمرض وعلاقة ذلك بالواقع الاقتصادى الرأسمالى ٨٨
ثانياً : الجنون في القرن التاسع عشر ومولد الطب النفسى ١٠٣
ثالثاً : ربط المعرفة بالسلطة فى القرن التاسع عشر ١١٥
الفصل الرابع : الجنون بين الكوجيتو الديكارتى وموت الإنسان عند فوكو ١٣٢
أولاً : الكوجيتو الديكارتى والذات المعرفية فى الحداثة ١٣٣
ثانياً: نهاية الذات عند فوكو وتجاوز الكوجيتو الديكارتى ١٤٥
ثالثاً: نقد الذات الحداثية عند فرويد ١٥٩
الخاتمة ١٧١
قائمة المصادر والمراجع.....١٧٧
أولا :المصادر العربية ١٧٧
ثانيا: المراجع العربية ١٧٧
ثالثا: الرسائل العلمية ١٨٣
رابعا : المصادر الأجنبية.....١٨٤
خامسا: المراجع الأجنبية ١٨٤
ملخص الدراسة باللغة العربية. .....
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية.....

المقدمة

مرت النفس البشرية بالعديد من المتناقضات والخطوط المتقابلة، فكل واحد منا يحمل في داخله الحب والعواطف كما يحمل أيضًا الكراهية والانحرافات. والإنسان الطبيعي إنسان عاقل وواقعي، وهو أيضًا مجنون ويميل للعب والخيال والأسطورة، هو كائن يضحك ويبتسم وفى نفس الوقت يحزن ويبكى، إنه ينتج العلم والفلسفة كما ينتج السحر والأسطورة. ووفقًا لهذا المنطلق، ينبغي للقرن الحادي والعشرين أن يتخلى عن الرؤية الأحادية التي تنظر إلى الإنسان من وجهة نظر عقلانية، حيث إن ثمة ازدواجية بين الإنسان العاقل والإنسان المجنون.

واذا ما نظرنا إلى الأمراض النفسية والعقلية نظرة سلبية، لوجدنا أن هذا النوع من الأمراض هو مناط عيب لصاحبه، و هذا إنما يرجع إلى الصورة السائدة عن المريض العقلي. فالمرض العقلى – كما يراه كثيرون – وصمة عار تلحق بصاحبه. والمعتوه، والمتخلف عقليًا، والمتسول، كلها مسميات تندرج تحت اسم [اللا عقل]. إذ أنهم جميعًا – بالنسبة للعقل – وُصموا بالجنون لشذوذهم وخروجهم على ما هو متعارف عليه عند الناس. ومن هنا تأتي مبررات إقصائهم ونبذهم ومطاردتهم، بل ونفيهم، كأنهم جماعة خارجة عن القانون، وفقًا لسلطة المعايير العقلية – إن جاز التعبير– والقيمية، والدينية السائدة في المجتمعات. ومن هنا يتناول بحثنا جدلية العلاقة بين العقل والجنون، عند فيلسوفين مختلفين وهما: رينيه ديكارت وميشيل فوكو .

اختلف بعض الفلاسفة حول قضية الجنون، منهم من مر معه بتجربة أليمة، وعانى منه كثيراً، لدرجة دخوله مصحة نفسية حتى الموت. ومنهم من رفض الاعتراف بهذه القضية رفضًا تاماً، ولعل أبرز هذه الفئة فيلسوفنا العقلى: رينيه ديكارت.

ولو تطرقنا لسيرة ديكارت الذاتية نجد أنه وُلد عام ١٥٩٦، وقد ماتت أمه بعد سنة من ولادته، ورُبي فى الريف. كان كاثوليكياً مخلصاً، تثقف على يد الرهبان اليسوعيين فى "لافليش"، وكان مهتما بالموسيقى، كما درس القانون فى "بواتييه"، وسافر إلى باريس للدراسة. اتبع ديكارت منهجًا للوصول إلى الحقيقة، وهو "المنهج العقلى". فالعقل – من وجهة نظر ديكارت – هو الذي يشكل المعارف البشرية، كما أنه المنهج الوحيد للوصول إلى الحقيقة. اتبع ديكارت عدة قواعد فى كتابه: "مقال فى المنهج" :البداهة والوضوح، التحليل، الترتيب والتركيب ، الإحصاءات الكاملة ، فقد أسس ديكارت من خلال الشك المنهجي فلسفته على قواعد ثابتة، ويُعد " الكوجيتو" [أنا أفكر إذن أنا موجود] من أهم القضايا التى توصل إليها.

ومن أهم أعماله :-

-كتاب (مقال فى المنهج) الذي نشره فى ليدن عام ١٦٣٧ ، نشر تأملاته فى الفلسفة الأولى فى باريس عام ١٦٤١ ، نشر كتابه (مبادئ الفلسفة)فى أمستردام عام ١٦٤٤ ، نشر كتابه (أهواء النفس) فى باريس عام ١٦٤٩ ، نشر كتابه (العالم) ، ثم سافر من "هولنده" إلى "استوكهولم" عام ١٦٤٩، ومات هناك بمرض فى الرئة فى عام ١٦٥٠ .

أعلى ديكارت من شأن العقل، وقال بقضية الكوجيتو، ومن خلالها رفض استحالة الفكر و اللاعقل والجنون. بيد أن إقصاء كل ما هو غير عقلي من دائرة المعرفة كان يعتمد على تصور الحداثة للجنون، وهذا ما قام (فوكو) بتحليله في كتاب: "تاريخ الجنون" عام١٩٦١ ، ويعد كتاب: (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) من أهم إنتاجات فوكو ليس فقط في تناول تاريخ التعامل مع الجنون، بل لأنه طرح لأول مرة، من خلاله، فكرته الأساسية حول العلاقة بين السلطة والمعرفة، بالإضافة إلى دراسة تشكل الخطاب النفسي والتعامل مع الجنون داخل المؤسسات المختلفة، بداية من الحجز الكبير وحتى المصحة النفسية. وقد تناول فوكو تصور ديكارت عن الجنون وعلاقته بالعقل بوصفه نموذجاً لتعامل الفلسفة والفكر عموماً مع الجنون فى العصر الكلاسيكى. فالجنون تستبعده الذات الشكاكة باعتباره استحالة الفكر وبالتالي ينبغى إقصاؤه. واعتمدت قراءة فوكو لديكارت حول موضوع الجنون على كتاب "التأملات الديكارتية". فالمنهج الديكارتى يتضمن وجود الذات المفكرة، ولذلك يعد نص التأملات نصًا إقصائيًا، ينفى أية إمكانية لتوافق خطاب العقل مع خطاب الجنون.

اختلف تناول ميشيل فوكو لهذه القضية عن سابقيه، فالدراسات السابقة التى تعرضت للجنون نظرت إليه إما على أنه روح شريرة تلبست جسد المريض، أو مجرد حالة مرضية ينبغى معالجتها بالأدوية. حتى الفلاسفة الذين تناولوا القضية فعلوا ذلك إما بطريقة عابرة نتيجة تعرضهم لأزمة نفسية أو برفضه دون دراسته بشكل عميق ، و لم يتطرق فوكو لتعريف الجنون أو دراسة تاريخ الطب النفسى ووسائله فى العلاج لكنه قام بدراسة الجنون تاريخياً وذلك بالرجوع إلى نظرة المجتمعات الغربية له فى كل حقبة تاريخية مختلفة واكتشف أن دراسته للجنون ليست طبية بقدر ما هى فكرية وسياسية واقتصادية .

وحتى يتضح سبب اختيارنا لميشيل فوكو كفيلسوف اهتم بهذه القضية، علينا أن نتطرق سريعًا لسيرته الذاتية، ولد الفيلسوف الفرنسي المعاصر بمدينة بواتييه في فرنسا عام ١٩٢٦، كان والده طبيبًا وأراد لابنه أن يصبح مثله، فاهتم في بداية حياته بالدراسات النفسية تأثرًا بمعلمه ألتوسير الذي كان يقود بعض تلاميذه – ومنهم فوكو – لمستشفي (سانت آن)

للأمراض النفسية والعقلية حتى يطّلعوا على بعض الحالات. كما كان ألتوسير يعاني من بعض الاضطرابات النفسية، والتي انتهت به إلى قتل زوجته، وإحالته إلى المصحة. اهتم فوكو بقراءة ديكارت وكانط منذ المدرسة الثانوية ولعل لهذه الظروف التي سيطرت عليه في فترة تكوينه، بالإضافة للأزمة النفسية التي كان يعانيها دورًا أساسيًا في تأليف كتابه العملاق: " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي". فقد كان فوكو مهددًا بالجنون، بالإضافة لقضائه سنوات عصيبة في مدرسة المعلمين العليا. وقد كان شذوذه الجنسي دافعًا قويًا لدراسة الذات وإخراج بعض الكثير من أعماله المهمة. وأهم هذه الأعمال:

– تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ١٩٦١، ولادة العيادة ١٩٦٣، الكلمات والأشياء ١٩٦٦،المراقبة والعقاب ١٩٧٥ ، تاريخ الجنس وهو عبارة عن ٣ مجلدات ١٩٧٦.

عانى فوكو من مرض الإيدز حتى تدهورت حالته الصحية، ومات عام ١٩٨٤ . ويمكن القول أن منهج فوكو ينقسم إلى :المنهج الأركيولوجى والمنهج الجينالوجى. ويتضح استخدام فوكو للمنهج الأركيولوجى في بعض الكتب منها :مولد العيادة: وهو أركيولوجيا النظرة الطبية وكتاب الكلمات والأشياء: وهو أركيولوجيا العلوم الإنسانية، وحفريات المعرفة و أركيولوجيا المعرفة. والأركيولوجيا هو العلم الذى يستلزم القيام بحفريات لاستخراج آثار الماضى. وبدلاً من دراسة تاريخ الأفكار، ركز على القطاعات المعرفية التاريخية، خاصة على العصر الكلاسيكى وبداية القرن التاسع عشر، و قد تحول من منهجه الأركيولوجى إلى منهجه الجينالوجى وذلك لتأثره بمنهج نيتشه الجينالوجى. فالجينالوجيا تنطلق من التنوع والتشتت وصدفة البدايات، ولا تعمل على العودة بالزمن من أجل تأسيس استمرارية فى التاريخ. إنها لا تبحث فى الماضى عن أثر الأحداث المتفردة، وإنما تطرح سؤال إمكانية الأحداث الآنية أو الحاضرة.

وبالتالي، سنسعى في هذا البحث للربط بين جانبين مختلفين للإنسان هما العقل والجنون، ومناقشة إشكالية العلاقة بينهما في مجال الفلسفة الحديثة والمعاصرة بل وعلم النفس، وذلك من أجل الكشف عن الجانب الغامض للإنسان، فالجنون يمثل حقيقة مرعبة بالنسبة للعقل ومركزيته.

وهكذا يتبين من العرض السابق إن إشكالية الدراسة تكمن في التساؤل التالي: إلى أي مدى تكشف قراءة فوكو للجنون عند ديكارت عن تأرجحه بين التصور التاريخي في إطار علاقة السلطة بالمعرفة، والبحث عن ماهية الجنون في إطار استبعاده وقمعه من قبل العقل، وهو ما تبدى في العصر الكلاسيكي من خلال موضعه عن طريق الطب النفسي.

وتتفرع من تلك الإشكالية التساؤلات الآتية:-

- إلى أي مدى تعد قراءة فوكو للجنون عند ديكارت قراءة مشروعة؟
- كيف يظهر التصور القمعي للجنون في كتاب "تاريخ الجنون" ؟
- إلى أي مدى نجح فوكو في الربط بين الفكر والمؤسسات الواقعية في تحليله للجنون خاصة عند ديكارت؟
- إلى أي مدى نستطيع اعتبار النقلة المعرفية التي أدت بفوكو للتخلي التام عن التصور القمعي للسلطة نتاجًا لنقد دريدا له حول قراءته لعلاقة العقل بالجنون عند ديكارت؟

فبالنسبة للمنهج المستخدم فى الرسالة هو المنهج التحليلى النقدى المقارن

أما عن تبويب الدراسة فتم تقسيم فصولها على النحو التالي:-

- مقدمة
- الفصل الأول بعنوان: التصور الديكارتي للجنون
- الفصل الثاني: التقابل بين الجنون في عصر النهضة والعصر الكلاسيكي
- الفصل الثالث: الجنون وربط السلطة بالمعرفة في القرن التاسع عشر
- الفصل الرابع: الجنون بين الكوجيتو الديكارتى و " موت الإنسان" عند فوكو
- الخاتمة وسنعرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

الفصل الأول

التصور الديكارتى للجنون

أولا : الطرق المختلفة لتناول الجنون .

ثانيا : الجنون عند ديكارت وارتباطه بفلسفته .

ثالثا : التصور الالى للطبيعة والجسد عند ديكارت .

أولاً :الطرق المختلفة لتناول الجنون

تمهيد

ما هو الجنون؟ متى يدخل المرء فى حالة من الجنون ؟ هل هو وسواس أم حالة مزاجية تستحوذ عليه وتفقده القدرة على التفكير فيما يجب أن يفعل ؟ إذا نظرنا إليه بهذه الطريقة فان الجنون هو حالة غير عقلانية، وغير مرغوب فيها ويجب تجنبها. (١)

فكلمة الجنون مشتقة من الجن بمعنى الستر ويُسمى الجن folie لاستتارهم عن أعين الناس وقالت العرب : حيل بينه وبين عقله أى الجنون كأنه ستر واختفى عنه وأصبح مستور العقل فهناك أنواع من الجنون منها : جنون الشيخوخة ، جنون الاضطهاد ، وجنون العظمة.(٢)

لاتزال المجتمعات العربية والغربية تخشي من الجنون madness ، وتنظر للمصاب به نظرة حادة، ومرد ذلك للخطر الذي يشكله على نفسه ، وعلى كل من حوله بدون قصد أو بوعي منه. ومن الممكن أن نطلق على المجنون عدة أسماء منها :المختلف أو الغريب أو المنحرف فكلها مسميات تتدرج تحت اسم [اللا عقل]. يعد الجنون إذن مرضًا عقليًا يصيب الشخص فيسلب منه الإدراك ويتسبب في خلل لوظائف العقل مما يخرجه عن السيطرة وبالتالى يصدر عنه سلوكيات غير مقبولة اجتماعياً . وما يهمنا في هذا البحث هو التصورات المختلفة لتناول الجنون، فهناك العديد من الطرق التي يمكن من خلالها تناول هذه القضية، **ويمكن أن نقسمهم لاتجاهين رئيسيين يتفرع منهم العديد من الفروع:**

الطريقة الأولى :هى تناول الجنون بوصفه طبيعة ثابتة، أو بوصفه جوهر ثابت، وهى طريقة كانت سائدة في الماضي و حتى العصر الحديث. وقد تصور بعض أنصار هذا الاتجاه الجنون على أنه نوع من المس أو السحر . وهناك تصور آخر ينظر إلى الجنون كنوع من الذكاء أو الحكمة. وهناك أيضاً من رآه غياب كامل للعقل، ويمكن القول بأن تصور ديكارت للجنون ينتمى للطريقة الأولى ، أما الطريقة الثانية: هى النظر للجنون بوصفه تصور تاريخى يختلف معناه من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر. وبالتالى ينتمى فوكو لهذه الطريقة .

---

(1) Katija maria vogt ,Plato on madness and the good life ,p177

(٢) مراد وهبه ، المعجم الفلسفى ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٥٢

وسوف نتناول كل طريقة بالتفصيل على حدة فيمكن رصد الطريقة الأولى – النظـــر للجنون كنوع من المس – فى الحضارات القديمة، التي تعاملت مع الجنون بوصـــفه قـــوى خارقة، أو عقاب ناتج من غضب الآلهة. واختلفت هذه النظرة من حضارة لأخرى، فإذا نظرنا للحضارة البابلية نجد أن المجانين كانوا ينتظرون حدوث معجزة، من خلال بعض الطقـــوس. والمرضى كانوا يقصون أحلامهم على الكهنة والأطباء. ونلحظ في الطب البـــابلي أن لكـــل مرض شيطاناً مسئولًا عنه، ولذلك يُلجأ إلى العراف والساحر لإخراجه. وكذلك الأمر في بلاد فارس القديمة، كان هناك إيمان سائد بأن جميع الأمراض يتحكم بهـــا الشـــياطين، فبمـــا أن الصراع بين الخير والشر موجود دائمًا، يظل نزاع الصحة والمرض موجـــودًا كـــذلك. أمـــا المصريون كانوا يعتقدون أن مركز كل شيء هو القلب، فإذا سكنت القلب قـــوة شـــيطانية، يصاب صاحبه بالجنون، ويصبح غير مسئول عن أفعالـــه. أي أن ســـلامة الإنســـان العقليـــة مرتبطة بسلامة قلبه، وظلت هذه الفكرة سائدة لفترة طويلة. (١)

لم يختلف الأمر كثيرًا عند المصريين والآشوريين، فقد رأوا في الأمراض نوازل قُذفت من السماء، وكانت مهمة العلاج موكولة إلى (القساوسة و الأطباء) عن طريق تقديم القرابين للكهنة. وقد تجسد الجنون في الملاحم والأساطير اليونانية في شكل ابتلاء من الآلهة، و أرجعت المعارف والتقاليد الشعبية المرض إلى الأرواح الشريرة، وطلبت استعادة العافية بشفاعة إله الطب والشفاء "إسكليبوس"(٢) ، بيد أن اليونانيين القدماء قد نظروا إلى الجنون على أنه غضب أتى من الآلهة. وقد حاول أطباء مثل أبقراط وجالينوس تصنيف الاضطرابات العقلية عند الناس من خلال: الصرع والهوس والكآبة، ورد هذه الاضطرابات لأسباب جسدية مثل: اختلال التوازن الخلطى، وصاغوا مصطلح الهيستريا الذى كان يُنظر إليه كمشكلة أنثوية سببها خلل فى الرحم. (٣) وبالنسبة للطب الأبقراطى كان المخ هو سبب كل علة أو مرض. لُقِبَ أبقراط بـــ"أبو الطب" وقد فسر الطب الأبقراطي الصحة والمرض تبعًا لمفهوم الأخلاط، ووفقًا لهذا المفهوم تنشأ الصحة والمرض من التغير الذي يطرأ على

---

(١) كلودكتيل، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ترجمة سارة رجائي يوسف، كريستينا سمير، مراجعة: داليا محمد السيد، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٥، ص٦٦.

(٢) مرجع سابق ، موجز تاريخ الجنون، ص٤٧.

(3) Bailey Grace elkin ,(Madness in the middle ages :An Examination of the treatment of the mentallyill in the medieval era based of order and gende)r ,oxford ,may 2017 ,p5

توازن أربعة عناصر –عند اليونان– وهما :الهواء،النار ،الماء، التراب. وتمثلت هذه الأخلاط في الدم، الصفراء، البلغم، السوداء. [١]

ويفسر التوازن الخلطي "الأمزجة"، أو ما سيطلق عليه في القرون المتأخرة: "الشخصية" و " النزاعات السيكولوجية". فإذا كان المرء لديه غزارة في الدم، كان له مظهر وردي. أما من ابتلي بفرط الصفراء كان شديد الغضب، فإذا ابتلي بفرط البلغم تصبح شخصيته لا مبالية، وبالنسبة للشخص الذي يعاني من فرط السوداء، يكون نزاعًا إلى الكآبة. لقد حاز التفكير المتعلق بالأخلاط تفسيرات ناتجة حول التحول من الصحة إلى المرض على المستويين السيكولوجي والفيزيقي، وينتج المرض حين يتزايد واحد من هذه السوائل أو ينقص فإذا انتج الجسد دمًا زائدًا يحدث اضطرابًا دمويًا، فيرتفع ضغط الدم ويتسبب في سكتة دماغية. أما فقر الدم، أي فقدان الحيوية، يؤدي إلى الإغماء والموت، ولكن إذا اتصل الأمر بالاضطراب العقلي قد يتسبب فرط الدم والمادة الصفراء بالهوس الجنوني، في حين يؤدي فرط المادة السوداء الجافة إلى الإحباط والسوداوية والكآبة ، وبالتالى رأى أبقراط أن المخ هو موضع الإحساسات السمعية والبصرية، وهو الموضع الذي ننتج منه أفكارنا ومعارفنا، وأن أحزاننا ومآسينا تنشأ في المخ، وبسببه قد نصبح مجانين أو نشعر بالخوف، سواء في الليل أو النهار. وقد أكد أبوقراط أن الأمراض العقلية هي نتاج أمراض المخ.[٢] وتحدث نوبة الصرع عندما: "يفقد المريض صوته ويختنق ويفقد وعيه بالكامل" كما أنه يرى أن المخ هو سبب كل شيء، فمن خلال المخ نميز بين القبيح والجميل، وبين الخير والشر. فالمخ هو مصدر إصابتنا بالجنون والهذيان.[٣]

هذا عن الطب القديم أما الفلسفة القديمة فنجد أن الفلاسفة الذين ظهروا في المدن و الدويلات الناطقة باليونانية في القرن السادس قبل الميلاد، فقد عاينوا الكون والحياة البشرية منطلقين من وجهة نظر طبيعية. وكان سقراط هو المثال الأوضح على ذلك بازدرائه للآلهة. وقد عمد سقراط وتلميذه أفلاطون إلى تحليل مكونات النفس البشرية وهي: العقل، والروحانية، والعواطف، والروح، ومضي أرسطو في المسار ذاته حيث عين الإنسان حيواناً عاقلاً يحيا ضمن نظام الطبيعة. أما بروتاجوراس فرآه – أي الإنسان – مقياس الأشياء جميعًا. [٤]

---

(1) Theo humphrics &Stephen Thompson (Ahippocratic intuition for balance in warburgs ,Plymouth university ,2011 ,p5

(٢) شاكر عبد الحميد، الأدب والجنون،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ص١٤.

(٣) مرجع سابق ، تاريخ الجنون من العصور القديمة حتى يومنا هذا، ص٣٢.

(٤) مرجع سابق ، موجز تاريخ الجنون، ص٤٧.

وجد سقراط – الذي هو أحد أعظم الفلاسفة اليونانيين – جانبًا إيجابيًا في هؤلاء الذين أُطلق عليهم لقب المجانين، واعتبرهم مميزين عن غيرهم، وأن ما يمرون به ما هو إلا هبة إلهية. وكان سقراط نفسه يعاني من الهلاوس واعتبرها كيانًا مقدسًا ووسيطًا بين ذاته والآلهة. [١] يقول سقراط لفيدر: "إن الهذيان عندما يكون ممنوحًا لنا من جانب إلهي يمثل مصدر الخيرات ذلك أن الهبة الإلهية تفوق الحكمة البشرية فالإنسان ليس بوسعه أن يكون منظمًا جيدًا للشعر دون جنون الإلهام الممنوح من ربات الفنون لأن الشعر الذي ينظمه إنسان متزن ما يتفوق عليه ذلك الشعر الذي يفرضه إنسان ملهم بمعني إنسان خاضع لسيطرة روح أما الجماهير التي لا تدرك أن هذا الإنسان ملهم فهي تقول عندئذ أنه مجنون. [٢]

وقد لا يكون أفلاطون هو الذى ابتكر فكرة الإلهام بوصفها نوعًا من الحماسة، حيث أننا نجد صداها عند ديمقريطس، إلا أنه – أي أفلاطون – كان أشد المؤيدين لها، ويبدو أنه كان أول من ربط الإلهام الشعرى بالجنون أو الهوس ،وضع أفلاطون الجنون في مستويات أربعة :ربط بينه وبين التنبؤ بالغيب في المستوى الأول، ووضع الطقوس التي تمارس لشفاء المرض في المستوى الثاني، ووضع الإلهام الشعري في المستوي الثالث وهذه المستويات الثلاثة سبيل لبلوغ ذروة الجنون الإلهي إلى جنون الحب فيصبح المجنون في أعلى مراتب الجنون، وهو المحب. والحب الأفلاطوني هو: عشق لمثال المثل الذي يختصر في ذاته الحق الأعلى، والخير الأسمى، والجمال الأكمل. وهنا يصبح الحب رمزًا عينيًا مطلقًا للحقيقة الصوفية وهي ذوبان ذات الإنسان الصغرى في ماهية الذات الكلية الكبرى فيصبح الجنون انقطاعا تامًا عن ارتباطات الإنسان الآنية في عالم الصيرورة وانجذابًا إلى عالم الكينونة واتحادًا كليًا بمثال المثل ومن هنا كان الجنون إلهيًا.[٣]

أما أفلاطون يميز في محاورة القوانين بين نوعين من الجنون: جنون بسبب المرض العقلي وجنون لأسباب أخرى مثل العدوانية والشخصية المزعجة ولكن يميز ذلك بشكل عابر كما يقترح أفلاطون في محاورة القوانين نظاماً تشريعياً من أجل استئصال أمراض الروح في المدينة المثالية وهذا لا يعني الاضطرابات النفسية، كما نفهمها بل العيوب والاضطرابات الأخلاقية فالمدينة الفاضلة عند أفلاطون تعمل على تعزيز الصحة النفسية لمواطنيها ولكن مع ذلك يجب أن يكون هناك قانون للعقوبات ينص على كيفية التعويض عن الأضرار الناتجة من الأعمال الإجرامية وكيفية توجيه الجناة نحو خلاص النفس ، في محاورة تيمايوس يميز

---

(١) عبد الله قدير، الجنون والعظمة، دار مدارك للنشر، ط ١ ، ٢٠١٨، ص٨٢.

(٢) مرجع سابق ، تاريخ الجنون، ص٢٧.

(٣) خالد إبراهيم يوسف، من الأدب الفلسفي، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠١٢، بيروت. ص٧١

أفلاطون بين أمراض الجسد وأمراض الروح، فالروح البشرية تتألف من العقل– الروح– الشهوة، فالروح هي مبدأ العدوان والسعي وراء الشرف والشهية تتمتع بملذات الطعام والشراب والجنس.[١] بيد أن ثمة تصورًا للجنون باعتباره مرضًا يحدثه الجسد، وقد صور أفلاطون الروح على أنها مبدأ الحياة و الفكر، وأنها حقيقة منفصلة عن الجسد. فقد تحدث أفلاطون في محاورة (طيمايوس) عن مرض الروح وقصد به الحماقة أو الجنون الناتج عن حالة الجسد فإذا كانت الروح أقوى من الجسد، فإنها تهزه من الداخل وينتج الهوس أو المس الجنوني. أما إذا كان الجسد أقوى فالروح تسقط في أشد أنواع المرض وهو الجهل. [٢]

هناك العديد من الفلاسفة الذين يزعمون انهم أطباء الروح مثل: ديمقريطس وسقراط وغيرهم. وقد اهتم هؤلاء بأمراض الروح على غرار أطباء الطب اللذين اهتموا بأمراض الجسد، فهذه العلل كانت فى الأساس تصرفات عاطفية ضارة بسعادة الإنسان مثل الغضب والحزن والتوتر ، وغالباً ما يشار إليهاً بـ "أمراض الروح". ومن بين المدارس اليونانية كانت "الرواقية" التى تسعى لغرس فكرة فى الروح وهي: "الحياة الفاضلة تحيا وفقاً للطبيعة " ، مما يساعدها في التغلب على التغيرات العاطفية. كما سعى العلاج الأبيقورى لتحرير الناس من المخاوف والقلق الغير المبرر من الموت والعالم الخارق، وتعليمهم القناعة فى إشباع الاحتياجات الأساسية. فإذا كان الأطباء القدامى خبراء فى الصحة الجسدية، كان الفلاسفة القدامى أيضاً خبراء فى الصحة النفسية وأمراضها . [٣]

هذا بالإضافة أن الرواقية كانوا أكثر من تعمقوا في دراسة مرض الروح، واعتبروه مماثلاً للشغف، ورفضوا إقرار الثنائية الأفلاطونية الخاصة بالروح والجسد وكانوا يرون أنهما أشبه بورقة ذات وجهين بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر: بين العاطفة والرذيلة والجنون. وقد آمن الفيلسوف الرواقي سينيكا – الذي عاش في القرن الأول الميلادي – بمذهب وحدة الوجود (الواحدية) فالروح ليس لها مستقر منفصل، ولكنها تتحول إلى عاطفة. كما أوضح "سينيكا" أن صحة الروح ليست طبيعة فطرية، وما من أحد لم يمر بالجنون قبل بلوغ الحكمة، فقد اجتاز جميعنا تلك المرحلة مسبقًا فتعلم المرء للفضائل يعني تخليه عن الرذائل.[٤]

---

(1) Marke Ahonen, Ancient philosophers on mental illness, article reuse guidelines Sage, university of Helsinki, p 5.

(٢) مرجع سابق ، موجز تاريخ الجنون، ص٤٨.

(3) Marke ahonen, Ancient philosophers on mental illness ,university of helsinki ,finland ,2019 ,p4,

(٤) مرجع سابق، تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا، ص٢٩.